مقتطفات من كتاب
إدارة الاختلاف
د/ عبد الكريم بكار

حدوتة كتاب

إليك...لأنك تعرف لماذا!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

سبل التفاهم والعيش المشترك

إن اختلاف بني آدم في الأفكار والأهواء والمصالح والعادات، يشكّل نوعاً من الابتلاء لهم حتى يظهر إحسان المحسن، وإساءة المسيء، ومن هنا نقول: إن الاختلاف هو معقد الابتلاء في حياتنا الاجتماعية، ومن المهم أن نوفر الأفكار والمفاهيم والأحكام والآليات... التي تساعدنا على التفاهم والتعاون وتقودنا إلى نوع من العيش المشترك على الرغم مما بيننا من تضارب وتباين، وهذه هي المهمة التي سيعمل عليها هذا الكتاب بحول الله وطوله.

- الاختلاف والتباين هو معقد الابتلاء في حياتنا الاجتماعية.
- الخوف من المختلف، ربما كان نابعاً مما عهده الإنسان الأول من اعتداء الحيوان عليه.
- كثيراً ما نركن إلى التعامل مع الشبيه، لأن التعامل مع المختلف دائماً مكلف، وقد يكون خطِراً، لكن خسائر القطيعة مع المخالفين قد تكون أشد خطورة.
- ينزع الناس في العادة إلى التفرد، ولا يكبح ذلك لديهم سوى القهر والتقليد الأعمى، وكلاهما يؤشر نحو شيء سيئ.
- بما أن الواحد منا لا يستطيع النظر من كل الزوايا، فإن الآراء المخالفة لرأيه، تضيء له النقاط المظلمة، وتساعده على امتلاك الرؤية المتكاملة.

- إننا من خلال الإقرار بمشروعية الاختلاف نمنح الاعتراف بالفروق التي تجعلنا مختلفين، فنحوّل المختلف من شاذ ومعادٍ إلى عنصر مؤطر في منظومة ثرية ومنتجة؛ إذ إن درجة اختلافنا مع زيد من الناس مهما كانت كبيرة، فإنه يظل قادراً على تقديم إشارات ومعطيات تفيدنا في نقد أنفسنا ومراجعة بعض مواقفنا، وهذا وجه من وجوه التكامل!

٤- التطابق منصّة للانغلاق:

أنا أخاف من (التطابق) في الآراء والأفكار والمواقف، وأخاف بدرجة أقل من (التشابه) في كل ذلك، ومصدر خوفي هو أن التطابق يشير إلى وجود أشياء سيئة، وأنه يولّد أشياء سيئة، مثل الجمود والانغلاق، أما التشابه، فإنه يوحي إلى حدٍ ما بالتكرار والاجترار، والذي يعني نفاذ الإبداع والتجديد.

التطابق هو نتيجة للانغلاق الفكري والثقافي، فنحن نرى بأم أعيننا كيف تسود النمطية في البيئات المتخلفة حتى إن الناس يفزعون من أي تغيير يطرأ على أزياء الناس أو عاداتهم، بل إن بعضهم ينظر إلى أي تغيير على أنه خيانة للثقافة، وإخلال بالوفاء للمعهود عن الآباء والأجداد.

إن التطابق هو نتيجة الانغلاق، واستمراره، يؤدي إلى المزيد من الانغلاق، على حين أن الاختلاف يُنتج المزيد من انفتاح الوعي على المغاير والمباين، وفي هذا إخصاب للعقل، وإثراء للحياة.

الاختلاف مشروع، وساحاته رحبة، بل أرحب مما يظن كثيرون، والمطلوب هو التوافق عوضاً عن التطابق، والتقليد الحرفي.

إن ما نعنيه بالتوافق هو عين ما نعنيه بالتعايش، من وجود علاقة تفاعلية بين فئات مختلفة من أجل تحقيق منافع متبادلة في جو من التعاون والألفة والاحترام.

إن من المهم أن نترك المعتقدات والمبادئ والأفكار المرجعية الكبرى خارج دائرة التوافق، ويتم النظر إليها على أنها خصوصيات ثقافية، وذلك لأن محاولات تغييرها عن طريق القانون أو القوة ستوجد شروخاً كبيرة في المجتمع.

نتائج اجتهادهما مختلفة، وفي هذا السياق ورد قول الإمام أبي حنيفة النعمان: هذا الذي نحن فيه رأيٌ لا نجبر أحداً عليه، ولا نقول: يجب على أحد قبوله بكراهية، فمن كان عنده شيء أحسن منه فليأت به.(١)

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه ليس للحاكم أن ينقض حكم غيره، ولا للعالم والمفتي أن يُلزم الناس باتباعه، وقد ذكروا أن رجلاً صنَّف كتاباً في الاختلاف، فقال له الإمام أحمد بن حنبل: لا تسمه كتاب الاختلاف، ولكنه سمه **(كتاب السعة)** وبناء على هذا قال أحد أهل العلم: **(إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة)**.

عثمان رضي الله عنه صلى في خلافته بالناس في منى الرباعية أربعاً دون قصر، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يرى القصر، وحين صلى خلف عثمان أتم، ولم يقصر، فقيل له: عبتَ على عثمان، ثم صليتها أربعاً؟ قال: **(الخلاف شر)** وفي رواية عنه: **(أكره الخلاف)**(٢).

إن مسألة الإتمام والقصر في السفر من مسائل الفروع واجتماع الكلمة من الأصول، فآثر عبدالله الأصل على الفرع.

الشباب يتحدثون وهم واثقون من أنهم يحملون أحدث النظريات وآخر وأجدّ المعلومات والخبرات، والشيوخ يعتزون بأنهم شاهدوا نتائج كثير من المبادرات والتجارب، وعاشوا عواقب تهور الشباب، وهذا أوجد لدينا خطابين مختلفين تجاه أساليب الإصلاح وأولوياته على نحو خاص، ورحم الله علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين كان يقول: (رأي الشيخ ولا رؤية الصبي) أي إن خبرة الشيوخ وحديثهم عن شيء، لم يروه أوثق وأصح من حديث الصبيان عن شيء رأوه بأعينهم!

(الحق

لا يُعرف بالرجال، وإنما يُعرف الرجال بالحق)، وفي هذا السياق قال ابن تيمية رحمه الله: (وأُمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني فضلاً عن الرافضي قولاً، فيه حق، أن نتركه، أو نرده عليه كله.(٢)

- من الخطأ البيّن أن ننظر إلى أفكارنا على أنها جزء من شخصياتنا، فإذا تعرضت للنقد، فكأننا شُتمنا، أو نيل من أعراضنا!

إن المفكر يحاول أن يخفف من درجة يقينه بأفكاره، فما وصل إليه هو في النهاية اجتهاد، وقد يتخلى عنه في المستقبل، بل قد يعجب من نفسه كيف كان يعتقده، ويراه!

يذكر الزجاجي وغيره أن الكسائي مؤسس المدرسة الكوفية في النحو التقى بالفقيه الكبير أبي يوسف صاحب أبي حنيفة في حضرة هارون الرشيد، فطلب الكسائي من هارون أن يأمر أبا يوسف في إجابته على سؤال، فأمره بذلك، فقال الكسائي: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق إن دخلت الدار؟

قال أبو يوسف: إن دخلتْ فقد طلُقت. فقال الكسائي: خطأ، إذا فُتحت (أَنْ) فقد وجب الأمر، وإذا كُسرتْ فإنه لم يقع بعد.

وقد أصاب من قال: إن طالب الحق كمن ينشد ضالة له، فهو لا يبالي: هل يعثر عليها هو أو غيره.

رحم الله أئمتنا العظام الذين كانت مثل هذه الأمور حاضرة في إحساسهم وتحركاتهم، فهذا يونس الصدفي يقول: (ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: (يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة) ؟![1]

ـ مما يجرح آداب الاختلاف على نحو فاضح ما يسمى اليوم بـ (الإرهاب الفكري) حيث يعمد بعض الناس إلى تخويف الذين يخالفونهم عبر أساليب وأدوات غير موضوعية وغير أخلاقية، وأشدها وصم المخالف بالكفر والزندقة أو الانتماء إلى منظمة أو جماعة سيئة السمعة، أو بُذلت جهود دولية لجعلها تبدو كذلك!.

قال ابن الأثير: (البذاء والبيان شعبتان من النفاق، أراد أنهما خصلتان، منشؤهما النفاق، وهو الفحش الظاهر، وأما البيان، فإنما أراد منه بالذم التعمقَ في النطق والتفاصح وإظهار التقدم فيه على الناس، وكأنه نوع من العجب والكبر، ولذلك قال في رواية أخرى: البذاء وبعض البيان لأنه ليس كل البيان مذموماً) [1] فهذا سلوك المنافقين، والمبتلى به مبتلى بالنفاق العملي الذي لا يُخرج صاحبه من الملة.

إن الذي أذهب إليه في هذا هو أن حقيقة العدد: (٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣) ليست مرادة، فنحن نعرف أن الساميين يستخدمون العدد (٧) للدلالة على التكثير في العشرات والعدد (٧٠) للتكثير في العشرات، وهكذا يفعلون في الأعداد (٧٠٠) و(٧٠٠٠)و(٧٠٠٠٠) ويكون المراد العام للحديث التحذير من أن أمة الإسلام ستعاني من الانقسام والاختلاف كما عانت أهل الديانات السابقة، بل أكثر، كما أن في الحديث حثاً على التمسك بالكتاب والسنة والحرص على اجتماع الكلمة ونبذ الفرقة، ومن هنا يمكنني القول: إن الفرقة الناجية ليست محصورة في جماعة معينة لها اسم وشعار خاص تعرف به، وإنما تعرف باتصافها بصفات عامة من اتباع الحق ولزوم سبيل الهداية والرشد، وهذا ما يشير إليه كلام بعض العلماء والمحققين.

جرت العادة في أن يتم استخدام مصطلح الجماعة الإثنية والجماعة العرقية في سياق الحديث عن مجتمع، فيه أغلبية متجانسةوجماعة أو جماعات فرعية، تكون عبارة عن أقليات من الناحية العددية. ومن الملاحظ أن مصطلح (الإثنية) على نحو أخص يتم استخدامه لتحاشي استخدام كلمة (أقلية) والتي تشي دائماً بالضعف والهامشية وأحياناً حداثة اكتساب المواطنة، وهذه معان غير مرغوبة في ظل سيادة الأفكار المتعلقة بدولة المواطنة والشعب الواحد المكرَّم والمستحق للعدالة على نحو مطلق.

العزلة التي تميل إليها الأقليات تشكل خطراً على بنيتها الفكرية ومنهجيتها في النظر إلى الأمور، لأنها من خلالها تفقد ما تحتاجه من معرفة وخبرة بمحيطها وبأحوال كل أولئك المختلفين معها، وهذا يحول بينها وبين التعلم من الآخرين، كما يحول بينها وبين ممارسة النقد الذاتي الذي يحتاج إليه الجميع، وهذا لأن الأقلية تشعر بأن كل عوامل قلقها وانحطاطها هو شيء من فعل غيرها، وبالتحديد من أولئك الأعداء الذين يرتدون ثياب الأصدقاء!.

حين تعجز الأقلية عن الرد على شيء نُسب إليها، أو الدفاع عن سلوك أحد أبنائها، فإنها لا تتوانى عن القول: إن ذلك الشخص لا يمثلها، أو تقول إن ما قاله أوفعله هو موضع إدانة ونقد، ومن المشهور عن كثير من الشيعة أنهم حين يواجهون بقول مخجل في أحد كتبهم، أن يقولوا: إن هذا الكتاب ليس معتمداً لدينا، وحين تسألهم عن المرجع المعتمد، فإنهم يميلون إلى الصمت!

وفي هذا المعنى روى عن جبران خليل جبران قوله: (الويل لأمة كثرت فيها طوائفها، وكل طائفة تقول: أنا أمة طائفية)[1]

- العمل الخيري والإنساني:

في المجتمع متعدد الانتماءات، تثور أسئلة عديدة، تتمحور حول العثور على الشيء الذي يربط أبناء المجتمع على نحو يؤهلهم للوصف بأنهم مواطنون هنود أو باكستانيون أو مصريون.

وأحياناً يكون البحث عن ذلك الرابط بسبب الشعور بأنه ليس هناك من رابط سوى أن الأقدار قضت بأن يعيش حشد من الناس على أرض واحدة، وهذا خطير للغاية، وأعتقد أنه يمكن أن يكون للفرق التطوعية والإغاثية وللمؤسسات والمنظمات الخيرية - دور مهم في تنشيط النزعة الإنسانية عامة، وبعث المشاعر الوطنية الجامعة خاصة، تصور معي فريقاً تطوعياً فيه المسلم والمسيحي والعربي والتركماني والكردي، أو فيه العربي والأمازيغي، أو فيه شباب من البيض والسود.... تصوروا معي المشاعر والأحاسيس التي يثيرها العمل المشترك بين شباب تلك المكونات، لا شك أنها ستكون مشاعر تسمو على الخصوصيات الثقافية والعرقية في اتجاه الانتماء الوطني الجامع.

طريق العدل الاجتماعي والثقافي وطريق الوئام الوطني، طريق طويل طويل، والانتكاسات في السير نحوه دائماً متوقعة وهو يحتاج إلى صبر ومثابرة، لكن لابد من اليقظة تجاه العوامل التي تغذي (اللاوعي الجمعي) بالكراهية والاستعداد للاقتتال والانقسام، ولابد من الانتباه إلى تصدع

البنى العميقة للمجتمع.

- الاختلاف والتباين هو معقد الابتلاء في حياتنا الاجتماعية.
- الخوف من المختلف، ربما كان نابعاً مما عهده الإنسان الأول من اعتداء الحيوان عليه.
- كثيراً ما نركن إلى التعامل مع الشبيه، لأن التعامل مع المختلف دائماً مكلف، وقد يكون خطِراً، لكن خسائر القطيعة مع المخالفين قد تكون أشد خطورة.
- ينزع الناس في العادة إلى التفرد، ولا يكبح ذلك لديهم سوى القهر والتقليد الأعمى، وكلاهما يؤشر نحو شيء سيئ.
- بما أن الواحد منا لا يستطيع النظر من كل الزوايا، فإن الآراء المخالفة لرأيه، تضيء له النقاط المظلمة، وتساعده على امتلاك الرؤية المتكاملة

يكثر النزاع والشقاق، ويكون تحكم الحكومة ضعيفاً وهو يقول في هذا: (الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلَّ أن تستحكم فيها دولة، والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء وأن وراء كل رأي منها وهوىً عصبيةً تمانع دونها، فيكثر الانتقاض على الدولة، والخروج عليها في كل وقت، وإن كانت ذات عصبية، لأن كل عصبية ممن تحت يدها **(أي الدولة)** تظن في نفسها منعة وقوة، وانظر، ما وقع من ذلك بإفريقية والمغرب منذ أول الإسلام ولهذا العهد، فإن ساكن هذه الأوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات، فلم يغنِ فيهم الغَلَب الأول الذي كان لابن أبي سرح عليهم وعلى الإفرنجة شيئاً، وعادوا بعد ذلك إلى الثورة والردة مرة بعد أخرى...)[1]

- لدينا مصطلح (السقف الزجاجي) وهو مصطلح قادم من الولايات المتحدة الأمريكية، هذا المصطلح يُستخدم للإشارة إلى الحواجز والموانع غير المرئية التي توضع أمام المرأة حتى لا تتبوأ المناصب العليا في الشركات والمنظمات، إنه زجاجي، فلا يرى، وسقف يَصعب ملامسته والوصول إليه، هذا السقف يتم وضعه لدى بعض الدول والحكومات للحيلولة دون وصول بعض الأقليات إلى بعض المناصب في الدولة، ولدينا مصطلح آخرهو (الجدران الزجاجية) ويعني التفرقة بين المواطنين في الأجور والمزايا الوظيفية بسبب العرق أو اللون أو الدين، وهذا كله يتم نتيجة وجود دولة داخل الدولة، أو وجود قوانين غير مكتوبة يتم العمل بها بناء على عرف سري، أو تعليمات شفوية، وهذا موجود على نطاق واسع، وهو يشكل في الحقيقة حاجزاً صلباً أمام شعورالناس بالولاء والانتماء للبلد الذي يعيشون فيه، وفي اعتقادي أن إزالة السقوف والجدران الزجاجية بشكل كامل، هو شيء غير ممكن، إذن فلتبذل الجهود من كل الأطراف وعلى كل المستويات من أجل نشر فضيلة العدل التام والشامل

- أنا أميل إلى استخدام كلمة (اختلاف) ومشتقاتها حين يكون النزاع قائماً على برهان ودليل، واستخدام (خلاف) ومشتقاتها حين لا يكون الأمر كذلك.

- يتمثل جوهر الليبرالية في الحرية ودعم النزعة الفردية من خلال شعارات من مثل: (دعه يعمل) و (دعه يمر).
- تعني الرديكالية التغيير الجذري والعميق للقيم والمبادئ الاجتماعية، ومعظم إشكاليتها ليس فيما تدعو إليه، ولكن في طريقة التغيير والإصلاح.

- أفكارنا ليست جزءاً من شخصياتنا، وإن المفكر الحر هو المفكر القادر على تجديد أفكاره وتعديلها على نحو مستمر.
- هدم الأفكار من خلال تسليط الضوء على السلوك الشخصي لأصحابها ينافي المنهج الصحيح والخلق الكريم.
- كثير من الخلافات ينشأ بسبب عدم التزام أحد الأطراف بأدب الخلاف وتلفظه بألفاظ مهينة للطرف الآخر.

- الهوية ليست معطى ثابتاً، لا يتغير، فالتغيرات الهائلة التي تجتاح العالم جعلت التحويرات على الهوية شيئاً مستمراً ومتتابعاً.
- العلاقات بين أهل مذهبين من دين واحد أو بين ثقافتين تنحدران من ثقافة كبرى واحدة، هي العلاقات الأشد حساسية والأكثر قبولاً للتصدع المخيف.

- العمل الخيري ظل على مدار التاريخ قادراً على مد جسور التعاطف والتراحم والثقة عبر القارات وفوق المحيطات

- الانغلاق الذهني يفضي إلى التعصب، والتعصب للمذهب أو العرق أوالإثنية هو العدو اللدود للعيش المشترك.
- الانغلاق الذهني ليس ذهنياً بالمعنى الدقيق، وإنما هو انغلاق ثقافي، يتمثل في أحيان كثيرة في حمل الطائفة...أفكاراً مغلوطة عن ذاتها وعن الآخرين.
- أعتقد أن جميع مكونات الوطنية في حاجة إلى نسيان الانطباعات السلبية الموروثة،ومحاولة فتح صفحة جديدة للتفهم والمراعاة.

- إن اتهام مسلم بالكفر يشبه الرصاصة تطلق على جسم صُلب، فهي إن لم تخترقه ارتدت إلى صاحبها فقتلته!
- شدد علماؤنا على خطورة تكفير المعين؛ لأن للتكفير شروطاً وموانع قد تنتفي بالنسبة إلى شخص بعينه، وليس كذلك التكفير المطلق.
- تحوط علماؤنا في تكفير الأعيان حتى قال أحدهم: الخطأ في ترك ألف كافر في الحياة، أهون من الخطأ في سفك دم مسلم واحد!.
- ضَيق أهل العلم من مدلول الألفاظ الدالة على التكفير من خلال تقسيم الكفر والشرك والنفاق إلى قسمين: قسم يُخرج صاحبه من الملة، وقسم ليس كذلك.
- مسارعة الخوارج والغلاة إلى تكفير المسلمين، وأناة وتحوط علماء الأمة في هذا الشأن يجِّد الفارق الكبير بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

- حين يشيع الظلم في مجتمع، لا يبقى في نفوس المظلومين شيء مقدس، وشيء لا يمكن عمله.
- وقوف المثقفين وصفوة المجتمع في وجه الظالم ومع المظلوم بقطع النظر عن أي اعتبار، هو الذي يرسِّخ الحس الأخلاقي في المجتمع.
- فهم مطالب الأقليات والإثنيات، والتعامل معها بسماحة وانفتاح وثقة، ليس من باب الرفاهية، وإنما هو من الضرورات الملحَّة.

- إن إكراه الناس على تغيير معتقداتهم وعاداتهم مخالف لشريعة الإسلام، وفيه امتهان لكرامتهم وعدوان على حقوقهم.
- من أقوى الروابط بين المواطنين شعورهم بأنهم يشتركون جنباً إلى جنب في صنع ثروة البلاد وبناء مستقبلها.
- لا يمكن للمجتمعات أن تحظى بالاستقرار والانسجام من دون التموضع العادل للدولة وأخذها مسافة واحدة من كل مكوناتها.